سلسلة اللغة والأدب

١

الحنين إلى الأوطان

لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

دار الرائد العربي
بيروت • لبنان
ص.ب. ٦٥٨٥

الطبعة الثانية

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

إن لكل شيء من العلم ونوعٍ من الحكمة وصنفٍ من الأدب – سبباً يدعو إلى تأليف ما كان فيه مشتّتاً ، ومعنًى يحدُو [1] على جمع ما كان متفرقاً ؛ ومتى أغفل حملةُ الأدب وأهلُ المعرفة تمييزَ الأخبار واستنباطَ الآثار ، وضمَّ كلٍّ جوهرٍ نفيسٍ إلى شكله ، وتأليفَ كلٍّ نادرٍ من الحكمة إلى مثله ، – بطلت الحكمة وضاع العلم – وأُميت الأدب – ودَرَسَ مستورُ كل نادر . ولولا تقييدُ العلماء خواطرَهم على الدهر ، ونقرُهم آثار الأوائل في الصخر ، – لبطلَ

---

(١) يحدو – حداه على الأمر بعثه عليه .

أوّلُ العلم وضاع آخره ؛ ولذلك قيل : لا يزال الناسُ بخير ما بقيَ الأوّلُ يتعلم منه الآخر .

وإنَّ السبب على جمع نُتفٍ من أخبار العرب في حنينها إلى أوطانها ، وشوقِها إلى تربَها وبُلدانها ، ووصفها في أشعارها تَوقُّدَ النار في أكبادها ، — أني فاوضت بعضَ من انتقل من الملوك في ذكر الديار ، والنزاع [1] إلى الأوطان، فسمعتهُ يذكر أنه اغترب من بلد إلى آخر أمهدَ من وطنه ، وأعمرَ من مكانه ، وأخصبَ من جنابه ؛ ولم يزل عظيمَ الشأن ، جليلَ السلطان تَدين له من عشائر العرب ساداتُها وفتيانُها ، ومن شعوب العجم أنجادُها [2] وشجعانُها ، يقود الجيوش ويسوس الحروب ، وليس ببابه إلاّ راغب إليه أو راهب منه ، فكان إذ ذكر التُّربة والوطن حنّ إليه حنين الإبل إلى أعطانها [3] ، وكان كما قال الشاعر :

إذا ما ذكرتُ الثَّغْرَ فاضت مدامعي
وأضحى فؤادي نُهْبَةً للهماهم [4]

---

(١) النزاع الى الشيء الاشتياق اليه .
(٢) الانجاد جمع نجد وهو الشجاع السريع الى الاجابة فيما دعي اليه .
(٣) الاعطان مبارك الابل عند الماء ، واحدها عطن .
(٤) الهمام الهموم .

حنيناً إلى أرض بها اخضرّ شاربي
وحُلَّت بها عني عقودُ التمائم (١)

وألطفُ قوم بالفتى أهلُ أرضه
وأرعاهمُ للمرء حقَّ التقادم

وكما قال الآخر :

يَقَرُّ بعيني أن أرى من مكانه
ذُرا عقدات الأبرقِ المتقاودِ (٢)

وأنْ أرِدَ الماءَ الذي شربت به
سُليمى وقد ملّ السُّرى كلُّ واخدِ (٣)

---

(١) التمائم جمع تميمة ، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادها يتقون بها العين في زعمهم فأبطلها الاسلام ، ذكره في النهاية لابن الاثير .

(٢) ذرا الشيء بالضم أعاليه الواحدة ذروة بكسر الذال وضمها ، وقال في معجم البلدان : قال ابن الاعرابي الابرق جبل مخلوط برمل وهي البرقة ، وكل شيء خلط من لونين فقد برق . والمتقاود المستوي ، قال في أساس البلاغة : تقاود المكان استوى قال :
الا ليت شعري هل أرى من مكانه
ذرا عقدات الابرق المتقاود

(٣) السرى سير عامة الليل وفي المثل « عند الصباح يحمد القوم السرى » . ويقال جمل واخد ووخاد اذا كان واسع الخطو ، وقد وخد يخد وخدا ووخدانا

وألصق أحشائي ببرد ترابه
وإن كان مخلوطاً بسمّ الأساود [1]

فقلت : لئن قلت ذلك لقد قالت العجم : من علامة الرشد أن تكونَ النفسُ إلى مولدها مشتاقة ، وإلى مسقط رأسها توّاقة [2] . وقالت الهند : حرمة بلدك عليك كحرمة أبويك — لأن غِذاءك منهما وأنت جنين — وغذاءهما منه . وقال آخر : احفظ بلداً رشّحك غذاؤه ، وارع حمى أكنكَ فِناؤه . وأَوْلى البُلدان بصبابتك إليهِ بلد رضِعْت ماءه ، وطعمت غذاءه ، وكان يقال : أرض الرجل ظِئْره [3] ودارُه مهده ، والغريب النائي عن بلده المتنحي عن أهله — كالثور النادّ [4] عن وطنه — الذي هو لكل رام قنيصه ؛ وقال آخر : الكريم يحن إلى جنابه ، كما يحن الأسد إلى غابه ؛ وقال آخر الجالي عن مسقط رأسه ومحلّ رضاعهِ

---

(١) الاساود جمع اسود وهو العظيم من الحيات .
(٣) تاق اليه توقانا اشتاق اليه فهو تائق وتواق .
(٣) الظئر المرأة التي تحضن ولد غيرها .
(٤) ندا البعير ندا (بتشديد الدال) نفر وذهب على وجهه شارداً .

كالعَيـْر [١] الناشط [٢] عن بلده الذي هو لكل سبُع قنيصة ، ولكل رام دريئة [٣] ؛ وقال آخر : تربة الصِّبا تَغرِس في القلب حرمة وحلاوة — كما تَغرِس الولادة في القلب رِقةً وحفاوة [٤] ؛ وقال آخر أحق البلدان بنزاعك إليه بلد أمصّك حلبَ رَضاعه؛ وقال آخر : إذا كان الطائر يحن إلى أوْكاره فالإنسان أحق بالحنين إلى أوطانه ؛ وقالت الحكماء : الحنين من رقة القلب — ورقة القلب من الرعاية — والرعاية من الرحمة — والرحمة من كرم الفطرة — وكرم الفطرة من طهارة الرِّشدة [٥] — وطهارة الرشدة من كرم المحْتد [٦] ؛ وقال آخر : ميلك إلى مولدك من كرم مَحتِدِك ؛ وقال آخر : عسرك في دارك أعز لك من يسرك في غربتك ، وأنشد :

لَقربُ الدار في الإقتار خير
من العيش الموسَّع في اغتراب [٧]

---

(١) العير الحمار الوحشي والاهلي ايضا .
(٢) قال في أساس البلاغة : ثور ناشط خارج من ارض الى ارض .
(٣) الدريئة : حلقة يتعلم عليها الطعن .
(٤) الحفاوة : المبالغة في الاكرام .
(٥) الرشدة : صحة النسب وهي بكسر الراء ، والفتح لغة .
(٦) المحتد : الاصل ، يقال : هو كريم المحتد وهم كرام المحاتد .
(٧) الاقتار : مصدر أقتر الرجل اذا افتقر .

وقال آخر : الغريب كالغرس الذي زايل أرضَهُ ، وفَقَدَ شِربَه ، فهو ذاوٍ (١) لا يثمر ، وذابلٌ لا ينضُر . وقال بعض الفلاسفة فطرة الرجل معجونة بحب الوطن — ولذلك قال بقراط : يُداوَى كلٌّ عليل بعقاقير أرضه — فإنَّ الطبيعةَ تَتَطَلَّعُ لهوائها ، وتنزع إلى غِذائها : وقال أفلاطون : غذاء الطبيعة من أنجع أدويتها ؛ وقال جالينوس : يَتَروَّحُ العليل بنسيم أرضه — كما تتروح الأرض الجدبة ببلل القطر .

والقول في حب الناس الوطن وافتخارهم بالمحالّ قد سبق ، فوجدنا الناس بأوطانهم أقنعَ منهم بأرزاقهم — ولذلك قال ابن عباس : لو قَنِعَ الناسُ بأرزاقهم قناعتَهم بأوطانهم ما اشتكى عبدٌ الرزق ؛ وترى الأعرابَ تحن إلى البلد الجدب والمحل القفر والحجرِ الصَّلدِ ، وتستوخِم (٢) الرّيف ؛ حتى قال بعضهم :

أتجلين في الجالـين أم تتصبَّري
على ضيق عيش والكريم صبور (٣)

---

(١) ذاو : ذابل .
(٢) استوخم البلـد ، وهو وخم ووخم بالكسر والسكون ايضا اذا كان غير موافق للسكن .
(٣) الجلاء : الخروج من البلد . يقال : جلوا عن أوطانهم ، اذا خرجوا منها .

فبالمِصر بُرغوث وحُمّى وحصبةٌ
ومومٌ وطاعون وكلّ شُرُورِ (١)

وبالبيــد جوع لا يزال كأنه
ركام بأطراف الإكام تمور (٢)

وترى الحضريّ يُولد بأرض وباء ومَوَتان وقلةِ خصْبَ — إذا وقع ببلاد أريَفَ من بلاده وجناب أخصبَ من جنابه واستفاد غنىً حن إلى وطنه ومستقره . ولو جمعنا أخبار العرب وأشعارَها في هذا المعنى لطال اقتصاصه — ولكن توخّينا تدوين أحسن ما سنحَ من أخبارهم وأشعارهم وبالله التوفيق .

ومما يؤكد ما قلنا في حب الأوطان قولُ الله عز وجل حين ذكر الديار يخبر عن مواقعها من قلوب عباده فقال : (ولو أنا كتبنا عليهم أنِ اقْتلُوا أنفُسَكم أوِ اخرُجُوا من

---

(١) الموم : هو البرسام مع الحمى .
(٢) الركام : السحاب المتراكب بعضه فوق بعض. والاكمة: تل ، وقيل شرفة كالرابية وهو ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد وربما غلظ ، والجمع أكم وجمع الاكم إكام مثل جبل جبال — ومار الشيء تحرك بسرعة .

ديارکم ما فعلوه إلاّ قليلٌ منهم) فسوّى بين قتل أنفُسهم وبين الخروج من ديارهم وقال تعالى (وما لنا ألاّ نقاتِلَ في سبيل الله وقد أُخرجنا من ديارنا وأبنائنا) وقال الأوّل : عَمّر الله البُلدانَ بحب الأوطان ، وكان يقال لولا حبُّ الناسِ الأوطان لخربت البُلْدان ، وقال عبد الحميد الكاتب وذكر الدنيا : نَفَتْنا عن الأوطان ، وقطعتنا عن الإخوان ، وقالت الحكماء أكرَمُ الخيل أجزعها من السّوط ، وأكيس الصّبيان أبغضهُم للكُتّاب ، وأكرم الصفايا أشدُّها ولهاً إلى أولادها ، وأكرم الإبل أشدُّها حنيناً إلى أوطانها ، وأكرم المهارَى أشدُّها ملازمة لأمها ، وخير الناس آلَفُهُم للناس ، وقال آخر من أمارات العاقل بِرُّه لإخوانه — وحنينُه إلى أوطانه — ومداراتهُ لأهل زمانه ، واعتلّ أعرابي في أرض غربة فقيل له ما تشتهي — فقال حِسلَ[1] فلاة وحَسوَ[2] قِلات[3] ؛ وسئل آخر فقال : مَخضاً (٤ رَوِيّاً — وضبّاً

---

(١) الحسل : ولد الضب حين يخرج من بيضه .
(٢) حسى زيد المرق يحسوه حسوا شربه شيئا بعد شيء وحسى الطائر الماء تناوله بمنقاره .
(٣) القلات جمع قلت بالفتح وهي النقرة في الجبل يستنقع فيها الماء .
(٤) المخض والمخيض ما مخض من اللبن وأخذ زبده .

مشويا ؛ وسئل آخر فقال : ضبّاً عنيناً أعور ؛ وقالت العرب حِماك أحمى لك – وأهلك أحفى بك ؛ وقيل الغربةُ كربة والقِلّةُ ذِلّة . وقال :

لا ترغبوا إخوتي في غربة أبداً
إنَّ الغريبَ ذليل حيثما كانا

وقال آخر لا تنهض عن وَكْرِكَ فتُنَغّصَكَ الغُربة – وتَضيمكَ الوَحدة ؛ وقال آخر لا تجفُ أرضاً بها قوابلك (١) – ولا تَشْكُ بلداً فيه قبائلك ؛ وقال أصحاب القيافة (٢) في الاسترواح : إذا أحسّت النفس بمولدها تفتحت مسامّها فعرَفَت النسيم ؛ وقال آخر يحن اللبيب إلى وطنه – كما يحن النجيب (٣) إلى عطنه ؛ وقال كما أن لحاضنتك حقّ لبنها – كذلك لأرضك حقٌّ وطنها ؛ وذكر أعرابيّ بلده فقال رَملة كنتُ جنينَ رُكامها – ورضيعَ غمامها – فحضنَتني أحشاؤها

---

(١) القوابل جمع قابلة وهي المرأة التي تأخذ الولد عند الولادة .
(٢) القائف الذي يتتبع الآثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه والجمع القافة ويسمى فعله بالقيافة .
(٣) النجيب من الابل القوي الخفيف السريع .

وأرضعتني أحساؤها[1] ؛ وشبّهت الحكماءُ الغريبَ باليتيم اللّطيم [2] الذي ثكل [3] أبوَيْه — فلا أم ترأمه [4] ولا أبَ يحدب [5] عليه ؛ وقالت أعرابية إذا كنت في غير أهلك فلا تنس نصيبك من الذّل ؛ وقال الشاعر :

لَعمري لَرهطُ المرءِ خير بقيّة
عليه وإن عالَوْا به كل مَركب

إذا كنت في قوم عداً لستَ منهم
فكلْ ما عُلِفتَ من خبيث وطيّب[6]

---

(١) الاحساء جمع حسى وهي سهل من الارض يستنقع فيه الماء .
(٢) اللطيم الذي يموت أبواه .
(٣) الثكل فقدان المراة ولدها .
(٤) رئمت الناقة الولد عطفت عليه .
(٥) يحدب عليه يعطف عليه .
(٦) قال ابن السكيت قوم عدا غرباء وانشد البيت قال ولم يأت فعل في الصفات غير هذا وهو أيضا مذهب سيبويه وهم اسم للجميع وقال ابن السيد في الاقتضاب هذا البيت لزرافة بن سبيع الاسدي فيما ذكر يعقوب وذكر الجاحظ انه لخالد بن نضلة الجحواني من بني أسد — والعدى الغرباء والعدى ايضا الاعداء — والأكل والعلف ههنا مثلان مضروبان للموافقة وترك المخالفة — وكان هذا الشاعر قد راغم قومه وعتب عليهم ثم جاور =

وفي المثل أوْضَح مِنْ مرآة الغريبة — وذلك أن المرأة إذا كانت هَدِيّاً في غير أهلها تتفقّدُ من وجهها وهيئتها مالا تتفقّده وهي في قومها وأقاربها — فتكون مرآتها مجلُوّة تتعهدُ بها أمرَ نفسها وقال ذو الرمة :

لها أُذُنٌ حَشْرٌ وذِفرَى أسيلةٌ
وخَدٌّ كمرآةِ الغريبة أسجح (١)

وكانت العرب إذا غزت وسافرت حملت معها من تربة

= غيرهم — وندم على مفارقة قومه — ولذلك قال قبل هذا البيت :

لعمري لقوم المرء خير بقية
عليه وان عالوا به كل مركب
من الجانب الاقصى وان كان ذا غنى
جزيل ولم يخبرك مثل مجرب
تبدلت من دودان نصرا وأرضها
فما ظفرت كفي ولا طاب مشربي

ثم أفاض في شرح البيت .

(١) الحشر ما لطف من الآذان — والذفرى من الحيوان العظم الشاخص خلف اذن — والاسيل من الخدود المسترسل — وسجح الخد كفرح سهل ولان وطال في اعتدال وقل لحمه وقال في أساس البلاغة وجه أسجح مستوي الصورة ورجل أسجح الخدين وقد سجح قال ذو الرمة وأنشد البيت .

دها رملاً وعَفَراً (١) تستنشقه عند نزَلة أو زُكام أو صداع أنشد لبعض بني ضبة :

نسير على علمٍ بكُنْه مَسيرنا
بعُفّةِ زاد في بطون المزاود (٢)

ولا بد في أسفارنا من قبيصة
من الترب نُسْقاها لحب الموالد (٣)

وقال آخر أرض الرجل أوضح نسبه — وأهله أحضر نَشَبه (٤) ؛ وقيل لأعرابي كيف تصنع في البادية إذا اشتدّ لقيظ وانتعل كل شيء ظِلَّه (٥) ، قال وهل العيش إلاّ ذاك

---

(١) العفر بفتحتين التراب .
(٢) المزاود جمع مزود وهو ما يجعل فيه الزاد . العفة هي بقية اللبن في الضرع بعد أن يحلب اكثر ما فيه وكذلك العفافة ثم أستعيرت للقليل من الزاد .
(٣) القبيصة : التراب المجموع وما تناولته بأطراف اصابعك ـ قال ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة كانت الاعراب اذا سافرت حملت معها من تربة أرضها ما تستنشق ريحه وتطرحه في الماء اذا شربته وكذلك كانت فلاسفة اليونان تفعل وانشد البيتين المذكورين .
(٤) النشب بفتحتين : المال والعقار .
(٥) يقولون جاء فلان حين انتعل كل شيء ظله اي حين دخل وقت الزوال .

يمشي أحدنا مِيلاً فَيَرفَضُّ عرَقاً — ثم يَنصِبُ عَصاه — ويُلقي عليها كِساءه — ويجلس في فيئه يكتال الريحَ فكأنّه في إيوان كِسرى ؛ وقيل لِأعرابي ما أصبركم على البدوْ — قال كيف لا يصبر من وطاؤه الأرض — وغِطاؤه السماء — وطعامُه الشمس — وشرابُه الرِّيح ، والله لقدْ خرَجنا في أثرِ قوم قد تقدَّموا بمراحِلَ ونحن حفاة — والشمس في قُلّة السماء — حيث انتعل كلُّ شيء ظِلّهُ — وإنهم لأسوءُ حالاً منّا — إن مِهادَهم للعَفَر — وإنَّ وسادَهم للْحجر — وإن شعارَهم للهواء — وإنَّ دثارهم للْخَواء[1]

وحدثني التَّوَّزيُّ عن رجل من عُرَيْنَة — قال حدثني رجل من بني هاشم — قال قلت لأعرابي من بني أسد من أين أقبلت — قال من هذه البادية — قلت وأين تسكن منها — قال : مَساقِط الحِمى حِمَى ضَرِيَّة[2] بأرض لَعمرُ الله ما نريد بها

---

(١) الشعار : الثوب الذي يلي الجسد لانه يلي شعره — والدثار : الثوب فوق الشعار — والخواء بالمد الهواء بين الشيئين — والخوى بالقصر خلو الجوف من الطعام ويمد .

(٢) ضرية بئر بأرض نجد وقد الم في معجم البلدان بهذه القصة .

بدلاً ولا نبغي عنها حولاً — قد نفتحها الغدوات وحفتها الفلوات — فلا يملَوْلِحُ ماؤها — ولا يحمَى ترابها — ولا يَمْعَرُ جنابها (١) — ليس فيها أذى ولا قَذَى — ولا أنين ولا حُمّى ، فنحن بأرفه عيش وأرفغ نعمة ، قلت فما طعامكُم فيها — قال بخ بخ عيشنا والله عنس يُعَلِّلُ جاذِبُه — وطعامُنا أطيبُ طَعام وآهنأه — الهبيدُ (٢) والضباب (٣) واليرابيعُ (٤) والقنافِذ والحيّات — زربما والله أكلنا القد (٥) واشتوينا الجِلْد — فلا نعلم أحداً أخصب مِنّا عَيْشاً ، فالحمد لله على ما بسط مِن السّعة ورزق من الدَّعَة — أو ما سمعت قول قائلنا وكان والله عالماً بلذيذ العيش .

إذا ما أصبنا كل يوم مُذَيقةً
وخمس تَمَيرات صغارٍ كوانز (٦)

---

(١) معرت الارض معرا قل نباتها — والجناب ما قرب من محلة القوم .
(٢) الهبيد الحنظل او حبه وهبده كسره وطبخه .
(٣) الضباب جمع ضب وهو حيوان معروف .
(٤) اليرابيع جمع يربوع وهو حيوان يسكن بطن الارض ويتخذ فيه كوى فاذا طلب من أحدها خرج من غيره .
(٥) القد بوزن فلس جلد السخلة وكانوا يأكلونه في الجدب .
(٦) المذيقة تصغير مذقة وهي الطائفة من المذيق وهو اللبن الممزوج بالماء — والكوانز المكتنزة وهي المجتمعة الصلبة .

فنحن ملوك الأرض خِصباً ونعمةً
ونحن أسود الغاب عند الهزاهزِ[1]

وكمْ مُتَمَنٍّ عيشنا لا ينالُهُ
ولوْ نالَهُ أضحى به حق فائزِ

ولهذا خَبَرٌ طويلٌ وصف فيه نُوقاً أضَلَّها — واقتصرنا منه على ما وصف من قناعته بوطنه؛ قال الهاشمي فلما فرغ من نعت نوقه قلت له هل لك في الغداء — قال إني والله غاوا غباب[2] لاصقُ القلب بالحجاب — مالي عهد بمضاغ إلاّ شِلْوَ[3] يرْبُوعٍ وجَدَ مَعْمَعَةً فانْسَلَتَ مِنّي فأخذْتُ

---

(١) الهزاهز الشدائد ولم يسمع لها بواحد — وهنا فائدة مهمة : وهي أن ما بعد اذا تكون زائدة فاذا قيل اذا ما غضبت فلا تخرج عن الحد أي اذا غضبت — فمعنى قوله اذا ما اصبنا أي اذا أصبنا وقد استعمل الناس في الاعصر المتأخرة ما بعد اذا للنفي فصاروا اذا رأوها في كلام العرب يظنونها للنفي وهو خطأ فاذا أريد النفي بعد اذا وجب أن يؤتى بلم تقول اذا لم يجيء زيد فارسل له خبرا ولا تقول اذا ما جاء زيد فينبغي الانتباه لذلك .

(٢) كذا في الاصل .

(٣) الشلو : العضو من أعضاء اللحم .

بنافقائه وقاصعائه وداماّئه وراهطائه (١) ثُم تنَفّضْتُه فأخرجته — ولا والله ما فرحت بشيء فرحي به — فتلقاني رويعٍ ببطن الخرجاء (٢) قد نُوَيْرَةً تخبُو طوراً وتَشُبّ أخرى فدسَسْتُه في إرُته (٣) فخمدت نويرته — ولا والله ما بلغ نضَجه حتى اختلس الرُّوَيْعي منه — فغلبني على رأسه وحوشه وصدره وبدنه — وبقي بيدي رجلاه ووركاه وفقرتا صلبه فكان ذلك مما أنعم الله به علي ، فاغتبقتها على نَكَظ مُنْكِظ وبوض بايظ عن عراكه اياي (٤) غير أن الله أعانني عليه — فذلك والله عهدي بالطّعام — وإني لذو حاجة إلى غذاء أنوّه به فؤادي وأشُدّ به آدي (٥) — فقد والله بلغ مني المجهود ، وأدرك مني المجلود (٦) ؛ يصف هذا البؤس

---

(١) قد فسر المصنف هذه الاربعة في كتاب الحيوان فقال هي أبواب قد اتخذها اليربوع لحفيرته فمتى أحس بشيء خالف تلك الجهة الى الباب .

(٢) الخرجاء : ماءة احتفرها جعفر بن سليمان قريبا من الشجي بين البصرة وحفر أبي موسى في طريق الحاج من البصرة .

(٣) الارة : موضع النار .

(٤) كذا في الاصل .

(٥) الآد : الصلب والقوة .

(٦) المجلود : القوة والصبر .

والجهد ، ويتحمل هذه الفاقة ويصبر على الفقر ، قناعة بوطنه ، وحباً لعطنه ، واعتداداً بما وصف من رفاغة عيشه (١).

وحدثنا سليمانُ بن مَعْبَد أن الوليد بن عبد الملك أراد أن يُرسل خيلَه — فَجاء أعرابي له بفرس أُنثى — فسأله أن يُدخلَها مع خيله — — فقال الوليد لقهرمانه (٢) أسيْلم بن الأحنف كيف تراها يا أُسَيْلَم — فقال يا أمير المؤمنين حجازيّة — لو ضَمّها مضمارُك ذهبت ، قال الأعرابي أنت والله منقوص الاسم (٣) أعوجُ اسْمِ الأبِ — فأمر الوليدُ

(١) رفاغة العيش : اتساعه .
(٢) القهرمان : أمين الدخل والخرج وهو معرب .
(٣) يريد أن اسمه مصغر والتصغير في الغالب يدل على النقص ، وهنا أمر وهو أن كل اسم في أوله همزة وصل اذا دخلت عليه أل نقلت حركتها الى اللام ثم لحقها في الحذف همزة أل لأن همزة الوصل اذا تحرك ما بعدها سقطت للاستغناء عنها فتبقى تلك الكلمة مجردة عن تينك الهمزتين نحو الاسم والابن والانقباض والاجتماع ونحو ذلك وقد وقع هنا وهم لكثير ممن لم يمعن النظر في الصرف فتراه ينطق بالهمزتين معا في مثل : الاقتصاد مطلوب . وبالهمزة الثانية في مثل : يطلب الاقتصاد . وهو خطأ بين وقد وقع هذا النوع في الكتاب العزيز في قوله تعالى (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) فالاسم هنا كما لا يخفى مجرد عن الهمزتين وقد وقع مثل ذلك في الشعر قال كشاجم : =

بإدخال فرسه — فلما أُجريت الخيلُ سبق الأعرابي على فرسه ، فقال الوليد أواهبُها لي أنت يا أعرابي ، فقال لا والله — إنها لقديمة الصُّحبة — ولها حق — ولكن أحْمِلك على مُهْرٍ لها سبق عاماً أوّل وهو رابض — فضَحك الوليد — وقال أعرابي مجنون ، فقال وما يضحككم ؟ سَبَقت أُمُّه عاماً أوّل وهو

= عش سالما لاختراع مجد فانه نعم الاختراع

فانظر كيف حذف الهمزتين من الاختراع وقد وقع في هذه القصيدة كثير من هذا النوع غير أنه خالف في قوله من قصيدة أخرى :

تأخرت حتى كددت الرسول وحتى سئمت من الإنتظار

فكأنه اضطر الى ذلك وقال المتنبي :

يوسطه المفاوز كل يوم طلاب الطالبين لا الانتظار

فقد حذف الهمزتين في الانتظار وحذف الالف من لا — فينبغي الانتباه لمثل ذلك وقد وقع في همزة الوصل خطأ من وجه آخر وهو أن بعضهم يضعون عليها علامة همزة القطع وهو خطأ ولو وقعت في الابتداء لأنه يكفي اذا أريد تحريكها أن يوضع عليها حركتها نحو اُغزي يا هند وأنا اُغزي القوم — وأما همزة البتة في مثل قولهم لا أفعله البتة فهي بلا ريب همزة وصل وقد أغرب بعضهم فقال أنها همزة قطع على خلاف القياس قال الحافظ بن حجر ولم أر ما قاله في كلام أحد من أهل اللغة وقد ناقشه في ذلك بعض من مرن على المناقشة غير أنه لم يأت بشيء يعول عليه أو يركن اليه.

في بطنها ، فاستظرفه واحتبسه عنده — فمرض — فبعث إليه الوليد بالأطباء — فأنشأ يقول :

جاء الأطباء من حمص تخالهُمُ
من جهلهم أنْ أُداوى كالمجانين

قال الأطباء ما يشفيك قلت لهم
دُخانُ رِمثٍ من التّسرير يشفيني (١)

إنّي أحنّ إلى أدخان محتَطِبٍ
من الجُنينةِ جزلٍ غيرِ موزون (٢)

فأمر الوليد أن يُحمل إليه سَليخة (٣) من رِمث فوافوه وقد مات ، فهو عند الخليفة وببلد ليس في الأقاليم أريفُ منه ولا أخصبُ جناباً ، فحن إلى سليخة رمث حباً للوطن ؛

وحكى أبو عبد الله الجعفري عن عبد الله بن إسحق الجعفري — قال أمرت بصهريج (٤) لي في بستان عليه نخل

---

(١) الرمث : مرعى للابل من الحمض .
(٢) كذا في الاصل وقد الم في معجم البلدان بالقصة والابيات فارجع اليه في التسرير والجنينة .
(٣) السليخة من الرمث ما ليس مرعى .
(٤) الصهريج كقنديل حوض يجتمع فيه الماء وهو معرب .

مُطِلٌّ أن يملأ فذهبت بأم حسانة المُرّيّة وابنتها وهي زوجتي — فلما نظرت أم حسانة إلى الصهريج قعدت عليه وأرسلت رجليها في الماء — فقلت لها ألا تطوفين معنا على هذا النخل لنَجْني ما طاب من ثمره — فقالت ههنا أعجب إليَّ . فدرنا ساعة وتركناها ثم انصرفنا وهي تخضخض رجليها في الماء وتحرك شفتيها — فقلت يا أم حسانة لا أحسَبك إلاّ وقد قلت شعراً ، قالت أجل ثم أنشدتني .

أقولُ لأدْنى صاحبَيَّ أسُرُّهُ
وللعينِ دمعٌ يحدُرُ الكُحلَ ساكبه

لَعَمري لنَهيٌ باللِّوى نازحُ القَذَى
نقيُّ النواحي غيرُ طَرْقٍ مشاربه (١)

بأجرَعَ مِجْراعٍ كأنَّ رَجاجهُ
سخاب من الكافور والمسك شائبه (٢)

---

(١) النهي بالفتح وهو بالكسر في لغة أهل نجد — الغدير أو شبهه والجمع أنه وأنهاء ونهي ونِهاء — والطرق بالفتح ماء السماء الذي تبول فيه الابل وتبعر .

(٢) كذا في الاصل ولم يذكر هذا البيت من ذكر الابيات المذكورة فليبحث عنه — والاجرع والجرعاء أرض حزنة يعلوها رمل والجمع الاجارع — والسخاب قلادة من قرنفل وسك ومحلب ليس فيه جوهر والشائب المخالط .

أحب إلينا من صهاريج مُلِّئَتْ
لِلُعبٍ فلم تملُح لديّ ملاعبُه

فيــا حبّذا نجدٌ وطيبُ ترابه
إذا هضبَتْه بالعشي هواضبه (١)

وريح صبا نجدٍ إذا ما تَنَسَّمَتْ
ضحى أو سرت جنح الظلام جنائبه (٢)

وأنشد أبو النصر الأسدي :

أُحِبّ الأرضَ تسكُنها سُلَيْمى
وإنْ كانت بواديهـــا الجُدُوبُ

وما عهدي بحبّ تُراب أرض
ولكن من يَحُلُّ بهـــا حبيبُ

---

(١) هضبت السماء القوم مطرتهم مطرا شديدا .
(٢) الجنائب جمع جنوب وهي ريح تقابل الشمال ــ وقد زاد في محاضرات الراغب بعد هذه الابيات ببيتين وهما:

فاقسم لا أنساه مـا دمـت حيـة
وما دام ليل عن نهـار يعاقبـه

ولا زال هذا القلب مسقـي لوعـة
بذكراه حتى يترك الماء شاربـه

وأنشدني حماد بن اسحق الموصلي :

أحَبُّ بلاد الله ما بين صارةٍ
إلى غطفان أن يَصوبَ سحابُها (١)

بلاد بهـا نيطت عليَّ تمائمي
وأوّل أرض مسَّ جسمي ترابُها (٢)

قال ولما حُملت نائلة بنت الفرافصة الكلبية إلى عثمان ابنِ عفّان رضي الله عنه كَرِهت فراق أهلها — فقالت لضبّ أخيها :

ألستَ ترى يا ضبُّ باللهِ أنني
مُرافِقَةٌ نحوَ المدينةِ أركُبا

(١) الصوب : نزول المطر .
(٢) قال المبرد في الكامل يقال فلان عقت تميمته ببلد كذا أي قطعت عنه في ذلك الموضع — قال الشاعر :

ألم تعلمي يا دار بلجاء انني
اذا اخصبت او كان جدبا جنابها

أحب بلاد الله ما بين مشرف
الي وسلمى أن يصوب سحابها

بلاد بها عق الشباب تميمتي
وأول أرض مس جلدي ترابها

وقوله ما بين مشرف الي وسلمى قد روي على أوجه شتى .

أما كان في أولاد عوف بن عامرٍ
لكَ الويلُ ما يُغني الخِباءَ المُطنَّبا

أبَى اللهُ إلاّ أنْ أكونَ غريبةً
بيثربَ لا أُمّاً لديَّ ولا أبـــا

قال وزُوِّجَتْ من أبانَ في كلب امرأة ـ فنظرت ذات يوم إلى ناقة قد حنّت فذكرت بلادَها ـ وأنشأت تقول :

ألا أيّها البَكرُ الأبانيُّ إنّـــني
وإياكَ في كلب لَمُغْتَرِبان (١)

تحنَّ وأبكي ذا الهوى لصبابة
وإنّا عـــلى البَلوى لمصْطَحِبان

وإنَّ زماناً أيها البكر ضمّني
وإياكَ في كلب لَشرُّ زمـــان

وقال آخر :

ألا يـــا حبّذا وطني وأهــلي
وصَحبِي حين يُدَّكر الصِّحاب

---

(١) البكر بالفتح : الفتى من الابل والانثى بكرة .

ومـــا عَسَلٌ ببارِدِ ماءِ مُزْنٍ
على ظَمأٍ لشاربـــه يُشابُ

بأشْهى مـــن لقائِكمُ إلينـــا
فكيف لنا بـــه ومتى الإيابُ

وأنشد الغنوي لبعض الهُذليين :

وأرى البلاد إذا سكنت بغيرها
جدْباً وإنْ كانت تَطِلُّ وتُخْصِبُ

وأرى العدُوَّ يُحِبّكُمْ فأُحِبّهُ
إنْ كان يُنْسَبُ مِنكُمْ أو تُنْسَبُ

وأرى السّميّةَ باسمكم فترُدّها
حُبّاً إلى .... (١)

---

(١) كذا في الاصل وقد وجدنا الابيات في ديوان أبي ذؤيب الهذلي على هذا الوجه :

وارى البلاد اذا سكنت بغيرهـــا
جدبا وان كانت تطل وتخصب

ويحـــل أهلـــي بالمكان فـــلا أرى
طـــرفي لغـــيرك مـــرة يتقلـــب =

قال ومن هذا أخذ الطائيّ قولَه :

كم منزل في الأرض يألفهُ الفتى
وحنينــه أبداً لأوّل منــزل

وأنشد أبو عمرو البَجلِيّ :

تمَتَّــعْ من شَميمِ عَرارِ نجْد
فما بعْدَ العَشِيّةِ من عرار (١)

ألا يــا حبّذا نَفَحاتُ نجــد
وريّا رَوضِهِ غِبَّ القِطــار (٢)

= وأصابع الواشين فيك تجمــلا
وهــم علي ذوو ضغائــن دؤب
وتهيج سارية الرياح من ارضكم
فأرى الجناب لها يُحل ويجنب
وارى العــدو يحبكــم فأحبــه
ان كان ينسب منك او لا ينسب

(١) العرار : بهار البر وهو نبت طيب الريح الواحدة عرارة وقد أورد في الحماسة قبل هذا البيت قوله :
أقول لصاحبي والعيس تهوي بنا بين المنيفة فالضمار
(٢) الري هنا الرائحة ـ وغب بعد ـ والقطار جمع قطـر وهو المطر .

وعَيْشُكَ إذ يحُلُّ القومُ نجْداً
وأنتَ على زمانك غيرُ زاري (١)

شهورٌ ينقضين ومــا شعَرنا
بأنصاف لهُنَّ ولا سرار (٢)

فأمّا ليلُهنّ فخيرُ ليــلٍ
وأقصرُ ما يكون مِنَ النهار (٣)

وقال آخر :

ألا هل إلى شمِّ الخُزامى ونظرةٍ
إلى قَرقَرى قبل الممات سبيل (٤)

فأشرَبَ من ماء الحُجَيلاء شَرْبَةً
يُداوي بها قبل الممات عليل (٥)

---

(١) زاري عائب يقال زرى عليه فعله اذا عابه .
(٢) الانصاف جمع نصف وسرار الشهر آخر ليلة منه .
(٣) وفي رواية وأنضر ـ ورواية وأطيب .
(٤) الخزامي نبت من نبات البادية طيب الرائحة وقرقرى ارض باليمامة فيها قرى وزروع ونخيل .
(٥) الحجيلاء اسم بئر باليمامة .

فيا أثلات القاع قلبي مُوَكَّلٌ
بكُنَّ وجدوى خيركنَّ قليل [1]

ويا أثلات القاع قد ملَّ صُحبتي
مسيري فهل في ظِلّكُنّ مقيل [2]

أُريدُ انحداراً نحوَها فيَرُدّني
ويمنعني دَيْنٌ عليَّ ثقيل

أُحدّثُ نفسي عنك أن لستُ راجعاً
إليك فحزني في الفؤاد دَخيل [3]

وأنشد للمجنون :

إلى عامرٍ أصبو وما أرض عامرٍ
هي الرملةُ الوعساء والبلدُ الرحبُ [4]

---

(١) الاثل شجر وهو نوع من الطرفاء الواحدة أثلة والجمع اثلات والقاع المستوى من الارض والقيعة مثل القاع وبعضهم يقول هو جمع .
(٢) الصحبة بالضم جمع صاحب . والمقيل القيلولة .
(٣) الدخيل الداخل في أعماق البدن وهذه الابيات ليحيى ابن طالب كما في معجم البلدان .
(٤) الوعساء رابية من رمل لينة تنبت احرار البقول وموضع معروف بين الثعلبة والخزيمية .

معاشر بيضٌ لو وَرَدْتَ بلادَهم
وَرَدْتَ بحوراً ماؤها للندا عذب

إذا ما بدت للنّاظرينَ خيامُهُم
فثَمَّ العِتاقُ القُبّ والأسلُ القضْبُ[1]

وأنشدنا المازني،

إقرأ على الوُشل السلامَ وقلْ له
كلُّ الموارد منذْ هُجرتَ ذَميمُ[2]

جبل يُنيف على الجبال إذا بدا
بين الغدائر والرّمال مُقيم

تَسري الصَّبا فتبيتُ في ألواذه
ويبيت فيه من الجنوب نسيم[3]

---

(١) العتاق جمع عتيق يقال فرس عتيق مثل كريم وزنا ومعنى والقب جمع اقب وهو الضامر البطن والاسل الرماح والقضب اللطاف الدقاق .
(٢) الوشل اسم جبل عظيم بناحية تهامة فيه مياه عذبة .
(١) الالواذ جمع لوذ وهو جانب الجبل وما يطيف به ومنعطف الوادي .

سَقْياً لظِلّك بالعشيِّ وبالضُّحى
وَلِبرد مائِكَ والمِياهُ حميم

لو كنت أملك منع مائِك لم يذق
ما في قلاتك ما حييتُ لئيم (١)

وقالت امرأة من عقيل :

خليليَّ من سكان ماوانَ هاجني
هبوب جنوب مرُّها ونِسامُها (٢)

فلا تسألاني ما ورائي فإنني
بمنزلة أعيا الطبيبَ سَقامُها

وقال آخر :

ألا ليت شعري والحوادثُ جمّةٌ
متى تجمعُ الأيامُ يوماً لنا الشَّمْلا

وكلّ غريب سوف يُمسي بذلّة
إذا بان عن أوطانه وجَفا الأهلا

---

(١) القلت مؤنثة وهي نقرة في الجبل تمسك الماء ان يفيض والجمع قلات قاله في المخصص وأنشد هذا البيت .
(٢) ماوان فيه ماء بين النقرة والربذة .

وقال آخر :

ألا ليت شعري يجمع الدهر بيننا
بصحراءَ من نجران ذات ثرًى جعْد (١)

وهل ينفُضَنّ الريحُ أفنانَ لِمّتي
على لاحق الرجلين مضطمرٍ وَرْد (٢)

وهل أردنّ الدهرَ حِسْيَ مُزاحمٍ
وقد ضربته نفحة من صبا نجد (٣)

وقال آخر :

وأنزلَني طولُ النّوى دارَ غربة
إذا شئتُ لاقيتُ امرءاً لا أُشاكله

فحامقته حتّى يقالَ سَجيّةٌ
ولو كان ذا عقل لكنت أُعاقلُه

---

(١) نجران اسم موضع ـ وتراب جعد أي ند .
(٢) اللمة بالكسر الشعر يلم بالمنكب وأراد بافنان لمته خصلها واستعار لها افنان الشجر والمضطمر الضامر يقال ضمر الفرس واضطمر اذا رق وقل لحمه ـ والورد من الخيل ما بين الكميت الى الاشقر .
(٣) مزاحم : اسم موضع .

ولو كنت في قومي وجُلِّ عَشيرتي
لألفيتُ فيهم كلَّ خِرقٍ أُواصلُه(1)

وأنشد لذي الرمة :

إذا هبّتْ الأرواحُ من نحو جانب
به أهلُ ميّ هاجَ قلبي هبُوبها (2)

هوًى تذرفُ العينان منه وإنّما
هوَى كلِّ نفس حيث حلَّ حبيبُها (3)

وقال أبو عثمان رأيت عبداً أسود حبشياً لبني أسد —

---

(1) وقع في بعض كتب الادب الشطر الاخير هكذا — للاقيت فيهم أخرقا لا أواصله — والأخرق الذي اذا عمل عملا لم يرفق فيه — والخرق بالكسر الفتى الحسن الكريم الخليقة .

(2) الارواح جمع ريح وأما جمعها على أرياح فقد أنكره الحريري في كتاب درة الغواص في أوهام الخواص حيث قال ويقولون هبت الارياح مقايسة على قولهم رياح وهو خطأ بين ووهم مستهجن — والصواب ان يقال هبت الارواح كما قال ذو الرمة وأنشد البيتين — غير ان ابن هشام قال في شرح « بانت سعاد » : من العرب من يقول ارياح كراهة الاشتباه بجمع روح كما قالوا في جمع عيد اعياد كراهة الاشتباه بجمع عود — قال السهيلي ان ريحا وأرياحا لغة لبني أسد .

(3) ذرفت عينه سال دمعها .

قدِم من شِقّ اليمامة ــ فصار ناطوراً ، وكان وحشيّاً مجنوناً لطول الغربة مع الإبل ، وكان لا يَلقى إلاّ أكرةَ[1] فلا يفهم عنهم ولا يستطيع إفهامهم ، فلما رآني سَكَنَ إليّ وسمعته يقول : لعن الله أرضاً ليس بها عرف[2] قاتل الله الشاعر حيث يقول :

حرُّ الثرى مُسْتَعربُ التّراب[3]

أبا عثمان ! إن هذه العُرَيب في جميع الناس كمقدار القُرحة في جلد الفرس[4] فلولا أن الله رقّ عليهم[5] فجعلهم في حشاه لَطَمَسَتْ هذه العَجم آثارهم ؛ أترى

---

(١) أكرت الارض حرثتها واسم الفاعل أكار للمبالغة والجمع أكرة كأنه جمع آكر .
(٢) كذا في الاصل وهي مصحفة .
(٣) أرض حرة لاسبخة فيها وطين حر لا رمل فيه ورملة حرة طيبة النبات ، هو من العرب العرباء والعاربة وهم الصرحاء الخلص ــ وفلان من المستعربة وهم الدخلاء فيهم وقال جندل بن المثنى الطهوي .
جعد الثرى مستعرب التراب ــ أي بعيد من ارض الاعاجم .
(٤) القرحة بالضم بياض يسير في وجه الفرس دون الغرة .
(٥) الاولى ان يقال في مثل هذا الموضع رأف بهم ونحو ذلك الا ان الاعراب ومن نحا نحوهم لا ينتبهون لمثل ذلك .

الأعيارَ إذا رأتْ العِتاق (١) لا ترى لها فضلاً ، والله ما أمَـر الله نبيهُ صلى الله عليه وسلم بقتلهم إذ لا يدينون بدين إلاّ لضنّه بهم (٢) ولا ترك قبُول الجزية منهم إلاّ تنزيهاً لهم ؛

وقيل لأعرابي ما السرور فقال أوْبَةٌ بغير خيبة ــ وألفة بعد غيبة ؛

وقيل لآخر : ما السرور ؟ قال غيبة تفيد غنى ، وأوبة تُعْقِبُ منى ، وأنشأ يقول :

وكنت فيهم كممطور ببلـدته
يسرُّ أنْ جمَع الأوطان والمطرا

وأحسن ما سمعنا في حب الوطن وفرحة الأوبة قوله :

وباشرتُها فاستعجلت عن قناعها
وقد يستخف (الطامعين) المباشِر

---

(١) الاعيار جمع عير بالفتح وهو الحمـار والعتاق كـرام الخيل .
(٢) الضن والضنة بالكسر والضنانة بالفتح البخل . مراد الاعرابي كلامه ان الله كرم العـرب وأراد بهم خيرا اذ جعلهم بمكان يأمنون به على قلتهم من الاعاجم على كثرتهم ــ ألزمهم الاسلام ولم يقبل منهم الجزية مع البقاء على الكفر .

مشمِّرةٍ عن ساق حوْلاءَ جسرةٍ
تُجاري بنيهـــا مرة وتحاضر

وخبّرها الورّاد أن ليسَ بينها
وبين قرى نجران والدرب صافر (١)

فألقت عصاها واستقرت بها النوى
كم قرَّ عينـــاً بالإياب المسافر (٢)

وقيل لبعض الأعراب ما الغبطةُ؟ – قال: الكفاية مع لزوم الأوطان، والجلوسُ مع الإخوان – قيل له فما الذّلة؟

---

(١) في رواية الرواد – في رواية سائر.
(٢) كذا في الاصل وقد ذكر في بعض كتب الادب ان البيت الاخير للمعقر بن أوس حماد البارقي من قصيـدة له فنظرنا في القصيدة في كتاب الاغاني فلم نجد فيها شيئا من الابيات السابقة وأول القصيدة فيه:

أمن آل شعفـــاء الحمول البواكر
مع الليل ان زالت قبيل الاعاصر
وحلت سليمى في هضاب وايكة
فليس عليها يـوم ذلـك قـادر
والقت عصاها واستقرت بها النوى
كما قر عينـــا بالايـــاب المسافر
وصبحهـــا أملاكهـــا بكتيبـــة
عليها اذا أمست من الله ناظـر

قال : التنقل في البلدان — والتنحي عن الأوطان .

وقال آخر :

طلب المعاشِ مفرِّقٌ بين الأحبّة والوطن
ومصيّرٌ جَلْدَ الرجا ل إلى الضراعة والوهن
حتّى يقادَ كما يقا دُ النضوُ في ثني الرّسن
ثمّ المنيةُ بعـــده فكأنه ما لم يكنْ

ووجدنا من العرب من كان أشرفَ في نفسه وأفخر في حسبه — ومن العجم من كان أطيَب عُنصراً وأنفَس جوهراً — أشدُّ حنيناً إلى وطنه ونزاعاً إلى تربته . وكانت الملوكُ على قديم الدهر لا تؤثر على أوطانها شيئاً ؛ وحكى المُوبَذْ (١) انه قرأ في سيرة اسفنديار بن بشتاسف بن لهراسف بالفارسية — انّه لمّا غزا بلاد الخزَر ليستنقذَ أُختَه من الأسر اعتل بها فقيل له ما تشتهي قال شَمّةً من تُربة بَلْخ وشَربة من ماء واديها ؛ واعتل سابور ذو الاكتاف (٢) بالروم — وكان مأسوراً في

(١) الموبذ بضم الميم وفتح الباء فقيه الفرس وحاكم المجوس والجمع موابذة والهاء للعجمة .
(٢) سابور معرب شاهبور تكلموا به قديما وهو اسم ملك من ملوك الفرس وقد عربه الاعشى بشاهبور حيث قال:
أطاف بها شاهبور الجنو د حولين تضرب فيها القدُم
والقدم جمع القدوم التي ينحت بها .

القـدّ [١] فقالت له بنت ملك الروم وقد عشقَتْه ما تشتهي مما كان فيه غِذاؤك — قال شَربَةً من ماء دجلة وشمةً من تربَة إصطخر — فغبرت عنه أياماً ثم أتته يوماً بماء الفرات وقبضة من تراب شاطئه — وقالت هذا من ماء دجلة — وهذه من تربة أرضك — فشرب واشمّ من تلك التربة فأفاق من مرضه ؛ وكان الاسكندر الرّومي [٢] جال البُلدان وأخرب إقليم بابل وكنز الكنوز وأباد الخلق فمرض بحضرة [٣] بابل

---

(١) القد سير من الجلد يشد به الاسير قال المتنبي :
وغيظ على الايام كالنار في الحشا
ولكنه غيظ الاسير على القد

(٢) الاسكندر معرب الكسندر وأل فيه من أصل الكلمة غير انهم نظروا اليها نظرهم الى أل التي للتعريف وهذا الذي حمل بعض الشعراء على حذفها كما تحذف من الحسن والعباس فقال اسكندر — قال ابو تمام :
من عهد اسكندر وقبل ذلك قد
شابت نواصي الليالي وهي لم تشب
قال التبريزي المتعارف بين الناس ان الاسكندر بالالف واللام فحذفوهما منه — واما قوله الرومي فهو من قبيل المجاز .

(٣) حضرة الرجل قربه وكانت في الاصل حظيرة — قال في النهاية في اثر « لا يلج حظيرة القدس مدمن خمر » أراد بحظيرة القدس الجنة وهي في الاصل الموضع الذي يحاط عليه لتأوي اليه الغنم والابل ليقيهما البرد والريح .

فلما أشفى [1] أوصى إلى حكمائه وزرائه أن تحمل رمّته [2] في تابوت من ذهب إلى بلده حباً للوطن .

ولمّا افتتح وهرز بن شيرزاد اليمن وقتل ملك الحبشة المتغلّبَ على اليمن أقام بها عاملاً لأنوشروان [3] فبنى نجران اليمن وهي من أحسن مدن الثغور فلما أدركته الوفاة أوصى ابنه شيرزاد ان يحمل إلى إصطخر ناووس [4] أبيه ففعل به ذلك .

فهؤلاء الملوك والجبابرة الذين لم يفتقدوا في اغترابهم نعمة ولا غادروا في أسفارهم شهوة حنّوا إلى أوطانهم ولم يؤثروا على ترابهم ومساقط روؤسهم شيئاً من الأقاليم المستفادة بالتغازي والمدن المغتصَبة من ملوك الأمم .

وهؤلاء الأعرابُ مع فاقتهم وشدة فقرهم يحنون إلى أوطانهم ويقنعون بتربهم ومحالّهم .

ورأيت المتأدب من البرامكة المتفلسف منهم إذا سافر سفراً أخذ معه من تربة مولده في جراب يتداوَى به .

---

(١) أشفى على الهلاك أشرف عليه .
(٢) الرمة بالكسر العظام البالية والجمع رمم ورمام .
(٣) وهذه القصة مذكورة في سيرة ابن هشام في قصة سيف ابن ذي يزن الحميري .
(٤) الناووس : تابوت يجعل فيه جثة الميت .

ومن أصدق الشواهد في حب الوطن أن يوسف عليه السلامُ لما أدركته الوفاةُ أوصى أن تُحمل رمّتُه إلى موضع مقابر أبيه وجدّه يعقوبَ وإسحقَ وإبراهيم عليهم السلام ؛ ورُوي لنا أن أهل مصر منعوا أولياء يوسف من حمله — فلما بعث الله موسى عليه السلامُ — وأهلك على يديه فرعونَ وغيره من الأمم — أمره أن يحمل رمّته إلى تربة يعقوب بالشام وقبرُه معلوم بأرض بيت المقدس بقرية تسمى حسامى (١) وكذلك يعقوب مات بمصر فحملت رمته إلى إيلياءَ قرية ببيت المقدس وهناك قبر إسحق بن إبراهيم عليهما السلام .

ومن حب الناس للوطن وقناعتهم بالعطن إن إبراهيم لما أتى بهاجَرَ أُمِّ إسماعيلَ مكةَ فأسكنها وليس بمكة أنيس ولا ماء ظمىء إسماعيلُ فدّعا إبراهيم ربه — فقال رب اني أسكنت من ذريّتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرَّم — فأجاب الله دعاءه إذ رضي به وطناً وبعث جبرائيل عليه السلام فركض (٢) موضع زَمزم برجله فنَبع منه زمزم .

---

(١) كذا في الاصل .
(٢) الركض : تحريك الرجل ومنه قوله تعالى « اركض برجلك » .

ومر بإسماعيلَ وأمّه فرقة من جُرْهُم فقالوا أتأذنون لنا أن ننزل معكم فقالت هاجرُ نعم — ولا حق لكم في الماء فصار إسماعيل وولده قُطّانَ مكة لدعوة إبراهيم عليه السلام — نعم وهي مع جدوبتها خير بقاع الأرض إذ صارت حرماً — ولإسماعيلَ وولده مسكناً — وللأنبياء منسكاً ومجمعاً على غابر الدهر .

وممن تمسك من بني إسرائيل عليه السلامُ بحب الوطن خاصة ولدُ هارون وآلُ داوود عليهما السلام — لم يمت منهم ميّت في إقليم بابل في أي البلدان مات — ألا نبشوا قبره بعد حول وحملت رمتُه إلى موضَع يدعى الخصاصَة بالشام[1] فيودعُ هناك حولاً فإذا حال الحول نقلت إلى بيت المقدس وقال الفرزدق :

لَكسرى كان أعقلَ من تميمٍ
ليالي فرَّ من بلد الضِّباب

فأسكن أهله ببلاد ريف
وجنات وأنهار عِذاب[2]

---

(١) كذا في الاصل .
(٢) الريف : كل أرض فيها زرع ونخل — وقيل هو ما قارب الماء من أرض العرب وغيرها .

فصار بنو بنيـــه بها ملوكاً
وصِرنا نحنُ أمثـــالَ الكلاب

فلا رحم الإلـــهُ صدى تميمٍ
فقد أزرَى بنا في كل باب (١)

وقال آخر في حب الوطن :

سقى الله أرضَ العاشقينَ بغيثه
ورَدَّ إلى الأوطان كلَّ غريب

وأعطى ذوي الهيْئاتَ فوق مُناهم
ومتّع محبوبـــاً بقرب حبيب (٢)

تمت رسالة الحنين إلى الأوطان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ .

وقد طبعناها على نسخة نقلناها من نسخة في المكتبة التيمورية كتبت سنة ١١٧١ وقد رجعنا في تصحيحها إلى كثير من أمهات كتب الأدب فصحت بقدر الإمكان .

---

(١) الصدى : الجسد من الآدمي بعد موته ــ وطائر يخرج من رأس المقتول اذا بلي فيما تزعم الجاهلية ــ وما يرده الجبل على المصوت فيه .
(٢) ذوو الهيئات هم الذين لا يعرفون بالشر .

تنبيه

قد أفرد أبا عثمان الجاحظ في الترجمة حكيمُ الأدباء وأديب الحكماء أبو حيان التوحيدي وقد ذكر في كتابه نكتة تدل على رغبة الناس بكتب الجاحظ قال :

ومن عجيب الحديث في كتبه ما حدثنا به علي بن عيسى النحوي الشيخ الصالح قال : سمعت ابن الاخشيد شيخنا أبا بكر يقول ذكر أبو عثمان في أول كتاب الحيوان أسماء كتبه ليكون ذلك كالفهرست ومرّ بي في جملتها (الفرق بين النبي والمتنبي) وكتاب (دلائل النبوة) وقد ذكرهما هكذا على التفرقة وأعاد ذكر الفرق في الجزء الرابع لشيء دعاه إليه فأحببت أن أرى الكتابين ولم أقدر إلاّ على واحد منهما وهو كتاب (دلائل النبوة) وربما لقب بالفرق خطأ فهمّني ذلك وساءني في سوء ظفري به ؛ فلما شخصت من مصر ودخلت مكة حرسها الله تعالى حاجّاً أقمت منادياً بعرفات ينادي

والناس حضور من الآفاق على اختلاف بلدانهم وتنازح أوطانهم وتباين قبائلهم وأجناسهم من المشرق إلى المغرب ومن مهب الشمال إلى مهب الجنوب وهو المنظر الذي لا يشابهه منظر (رحم الله من دلنا على كتاب (الفرق بين النبي والمتنبي) لأبي عثمان الجاحظ على أي وجه كان) قال فطاف المنادي في ترابيع عرفات وعاد بالخيبة وقال: عجب الناس مني ولم يعرفوا هذا الكتاب ولا اعترفوا به. — قال ابن الاخشيد — وإنما أردت بهذا أن أبلغ نفسي عذرها. قال المؤلف وحسبك بها فضيلة لأبي عثمان أن يكون مثل ابن الاخشيد وهو هو في معرفة علوم الحكمة وهو رأس عظيم من رؤوس المعتزلة يستهام بكتب الجاحظ حتى ينادي عليها بعرفات والبيت الحرام وهذا الكتاب موجود في أيدي الناس اليوم لا يكاد يخلو خزانة منه ولقد رأيت أنا منه نحو مئة نسخة أو أكثر اهـ.

أبـو سلـوم المعتـــزلي